ولعل البراعة الصهيونية بلغت أوجها في تشويه طبيعة الصراع الدائر على أرض فلسطين . وما كلام آلون الاخير في الامم المتحدة ، الا حلقة جديدة من مسلسل طويل في الافتراء على الشعب الفلسطيني ونضاله . فمنذ ان تصاعدت المواجهة بين الشعب الفلسطيني والمستوطنين اليهود الى حد الصدام المسلح ، انبرت الدعاية الصهيونية لطمس معالم النضال الفلسطيني وتشويه وجهه التحرري . فالفلاحون الذين هبوا يقاتلون دفاعا عن وسيلة حياتهم الوحيدة — الارض التي سلبت منهم وأجلوا عنها هائمين على وجوههم ، اصبحوا في نظر المستوطنين الصهاينة عصابات من اللصوص ، همها السرقة والتخريب . وقبائل البدو التي حرمت مراعي قطعانها ، غغزت المستوطنات اليهودية الجديدة ، وصفت بالبدائية والنفور من الحضارة وحياة الانتاج المستقرة ، وبالخروج على شرعة القانون والاعراف المتمدنة . وبذلك صوروا وكأنهم أعداء للمدنية ، التي يحملها معه المستوطن الغربي « الابيض » . وكتائب الارهاب الاولى التي أقيمت لتكون ذراع الاستيطان الضاربة ، سميت على يد المستوطنين « حركة الحراس » ، ايهاما بأنها انما أنشئت لتحافظ على ما جناه المستوطنون بعرق جبينهم ، ضد عصابات الفوضى والتخريب . والاضرابات التي قامت احتجاجا على الهجرة اليهودية ، سميت اضطرابات وأعمالا غوغائية ، قام بها الرعاع بتحريض من عناصر مشبعة بالحقد والتعصب الديني . وتحركات الشعب الفلسطيني السياسية ، من أجل الحفاظ على بقائه في وطنه ، عزيت الى تحريض أجنبي ، ووصفت بأنها تمويه لحركات عدوانية من خارج الحدود ، الخ . وأخيرا وليس آخرا ، ففصائل المقاومة الفلسطينية في مصطلح وسائل الاعلام الصهيوني ، هي « عصابات من محترفي القتل »، والاعمال الفدائية ليست الا عمليات « اجرامية »، والثورة الفلسطينية « عميلة للاتحاد السوفياتي »، والدولة الفلسطينية لن تكون أكثر من « قاعدة روسية في المنطقة »، الخ. والفلسطينيون لا يريدون من دولتهم على الضفة الغربية الا « لتكون قاعدة ينطلق منها القتلة الى قلب اسرائيل » .

وبعد هذا القاموس الصهيوني من « المصطلحات الفنية » للصراع الفلسطيني الاسرائيلي ، وبعد هذا الدأب المستمر على التشويه ، كيف بصانعي السياسة الاسرائيلية في مواجهة شعبهم باتفاق مع الفلسطينيين ، وماذا عساهم يقولون عنه ؟ وكيف تبرر القيادة الصهيونية ، التي ربت أبناءها على هذا التراث من التضليل ، الاعتراف بحقوق الفلسطينيين على الضفة الغربية مثلا ، وليس على يافا وحيفا وغيرها ؟ وماذا سيكون ردها على عروبة الجليل الذي لا تزال أكثرية سكانه من العرب؟ وماذا سيكون جوابها على الاسئلة التي يثيرها جيل الشباب الاسرائيلي والتي أخذت تحوم مؤخرا حول شرعية الدولة الصهيونية ، بعد أن كانت لا تتعدى سياسة الحكومة؟ هذا بغض النظر عن التعقيدات النفسية التي يواجهها المستوطنون « البيض » ، لدى ارغامهم على التراجع أمام حركة التحرر الوطني « للسود » من سكان البلاد الاصليين . فأمام كل هذه الاعتبارات الداخلية ، تواصل القيادة الصهيونية في اسرائيل الهروب الى الامام .

في الامم المتحدة

لئن فاجأ العرب اسرائيل في حرب تشرين ، فقد فاجأتها منظمة التحرير الفلسطينية بمبادرتها الى طرح قضية فلسطين في الامم المتحدة . وازاء هذا التحرك من جانب الثورة الفلسطينية وقفت اسرائيل موقف الخيار بين أهون الشرين . فمنذ البداية ، كانت هناك قناعة لدى الحكومة الاسرائيلية ، أثبت صحتها التصويت على ادراج القضية في جدول أعمال الدورة الحالية (٢٩) للجمعية العمومية ، بأنها ستكون أعجز